

نظرة مقاصدية في تقنيات الذكاء الاصطناعي ومظاهر المسؤولية الأخلاقية في استخدامها
A purposeful perspective on artificial intelligence technologies and aspects of ethical responsibility in their Us

عبدالباقي صديقة¹

¹ جامعة عمارثليجي بالأغواط (الجزائر)، a.sedika.si@lagh-univ.dz

تاريخ الاستلام: 2025/02/09 تاريخ القبول: 2025/05/03 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

تتناول هذه الدراسة العلمية موضوع الذكاء الاصطناعي باعتباره تقنية حديثة تطورت في عصرنا لتحاكي القدرات الذهنية البشرية، وذلك من خلال بيان لمفهوم الذكاء الاصطناعي وأنواعه وخصائصه وأهميته، والكشف عن أهمية النظر المقاصدي في استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي وإبراز المسؤولية الأخلاقية في استغلال هذه التقنيات، وبالنظر للتطور الهائل الذي شهده الذكاء الاصطناعي ودخوله لكل مجالات الحياة فقد دعت الحاجة للبحث في هذا المجال، وأظهرت نتائج الدراسة أن الذكاء الاصطناعي بتقنياته المختلفة يلعب دورا مهما في تطوير الحياة الإنسانية، والحكم على استخدام تقنياته ينبغي على البعد المقاصدي ومدى تحقيقها للغايات الشرعية، ورغم الجهود المتواصلة لإضفاء عنصر المسؤولية الأخلاقية في توظيف تقنيات الذكاء الاصطناعي إلا أنها لا تزال غير كافية. كلمات مفتاحية: تقنيات، الذكاء الاصطناعي، المقاصد، المسؤولية الأخلاقية.

Abstract:

This scientific study explores artificial intelligence as a modern technology developed in our era to simulate human cognitive abilities. It examines the concept of artificial intelligence, its types, characteristics, and significance while highlighting the importance of a purposeful perspective in utilizing AI technologies and emphasizing the ethical responsibility in their application. Given the rapid advancements in artificial intelligence and its integration into various aspects of life,

the need for research in this field has become essential. The study's findings reveal that AI, with its diverse technologies, plays a crucial role in advancing human life, and the ethical judgment of its use depends on its alignment with purposes principles and its ability to achieve legitimate objectives. Despite continuous efforts to incorporate ethical responsibility in the deployment of artificial intelligence technologies, they remain insufficient.

Keywords: Technologies, Artificial Intelligence, Purposes, Ethical responsibility.

*المؤلف المرسل: عبد الباقي صديقة

1. مقدمة

إن التطور السريع الذي تشهده حياة الناس في الزمن الحاضر ما هو إلا نتاج لتطور الفكر البشري والذي يسعى بكل الوسائل إلى محاولة المساهمة في تيسير حياة الإنسان وذلك بخلق بدائل تدفع عنه كل ما يكون سببا في إلحاق المشقة به، ومن جهة أخرى لتحقيق الإستغلال الأمثل لكل ما سخره الله للإنسان في هذا الكون خدمة لمصالحه، وإن من أعظم نعم الله على الإنسان العقل الذي فضله به على سائر خلقه بما أودعه فيه من العجائب والأسرار، وإن من أبرز ما توصل إليه العقل البشري في التكنولوجيا الحديثة "تقنية الذكاء الاصطناعي" والتي يسعى من خلالها إلى جعل الآلة قادرة على محاكاة السلوك الإنساني وتمتلك قدرة فائقة في حل المشكلات المختلفة بطرق سليمة وسريعة.

ومع كل هذا التنافس في المجال التكنولوجي الذي أصبح يسير بوتيرة سريعة في مجال الذكاء الصناعي، كان لزاما علينا أن نتوصل إلى معرفة الطريقة الأنسب للتعايش معه، حتى ننتفع بما يحمله من مزايا وإيجابيات ونحذر من الوقوع فيما يحمله من سلبيات.

أهمية الموضوع: تتجلى أهمية هذا الموضوع فيما يلي:

- أن الذكاء الاصطناعي يعتبر مجالا خصبا لتحقيق كثير من الأفكار التي يصعب تجسيدها في الحياة الواقعية.
- أن استعمال أنظمة الذكاء الاصطناعي قد دخلت في كل مجالات الحياة ولم تبق حكرًا على مجالات محددة.
- أن بعض تطبيقات الذكاء الاصطناعي ينتج عنها إشكاليات من الناحية الشرعية، وقد توظف لغير ما اخترعت له.

- يعد النظر في هذا النوع من التقنيات بنظرة مقاصدية مهم لتوضع في ميزان الشرع وتصحيح مساراتها بما يتوافق والضوابط الشرعية.

الإشكالية: ومع أن موضوع الذكاء الاصطناعي متشعب المجالات والمحاور وقد تظهر العديد من الإشكاليات إذا نظرنا له من الجانب الشرعي، إلا أنه يمكن أن نحصر أهم التساؤلات في الآتي: ما المقصود بالذكاء الاصطناعي؟ وما هي أهم خصائصه؟ وما هي مقاصده؟ وما هي أهم مظاهر المسؤولية الأخلاقية في استغلال تقنياته؟

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة لجملة من الغايات منها:

- توضيح حقيقة الذكاء الاصطناعي وأهم خصائصه.
 - الكشف عن أنواع الذكاء الاصطناعي وأهميته.
 - إيضاح أهمية النظر المقاصدي في تقنيات الذكاء الاصطناعي وبيان مقاصده.
 - تعميق الوعي بضرورة المسؤولية الأخلاقية في استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي.
- المنهج: اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تتبع جزئيات الموضوع فيما وضعنا أيدينا عليه من مصادر ومراجع، وتحليلها لبناء تصور صحيح لتقنيات الذكاء الاصطناعي وتوجيهه حسب مقتضيات الشرع.

وللإجابة على ما تم ذكره من تساؤلات في الإشكالية، فقد نظمت ما ذكرته من معارف فيما يلي:

- مفهوم الذكاء الاصطناعي وأهم خصائصه:
- أهمية الذكاء الاصطناعي وأنواعه:
- تقنيات الذكاء الاصطناعي في ضوء المقاصد الشرعية ومظاهر المسؤولية الأخلاقية في استخدامها:

2. مفهوم الذكاء الاصطناعي وأهم خصائصه:

1.2 تعريف الذكاء الاصطناعي:

أولاً: تعريف الذكاء:

تعريف الذكاء لغة: يرجع "الذكاء" في اللغة إلى حروف ثلاثة: الدَّالُّ وَالْكَافُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ وهي أصل وَاحِدٌ مُطَرِّدٌ مُنْقَاسٌ يَدُلُّ عَلَى حِدَّةٍ فِي الشَّيْءِ وَنَفَازٍ، والذكاء: حِدَّةُ النَّفْسِ وسرعة الفطن، ويتولد عن الذكاء الفهم التام والسريع، والفعل منه ذَكِيَ يَذْكِي. فالذكاء في الأصل صفةٌ تطلق على القلب وكل ما يحمل معنى الإدراك والوعي، ولا يطلق على كل من قام بحل المشكلات بسرعة وأدرك فيها وجه الصواب،

وعلى هذا علماء اللغة ألصقوا هذا الوصف بالقلب، فيقال ذكاء القلب وحدة الفؤاد وسرعة الفطنة .
(ابن فارس، 1979، صفحة 358) (ابن منظور، 1414، صفحة 287)

تعريف الذكاء في الاصطلاح: وردت عدة تعريفات لمصطلح الذكاء نذكر منها:

✓ شدة قُوّة للنفس مُعدّة لاكتساب الآراء؛ أي العلوم التصورية والتصديقية وهذه القوة تسمى بالذهن. (المجددي، 2003، صفحة 99)

✓ وجاء في تعريفه أيضا بأنه المقدرة والمهارة على وضع وإيجاد الحلول للمشكلات باستخدام الرموز وطرق البحث المختلفة ومعالجة المعرفة والقدرة على استخدام الخبرة المكتسبة في اشتقاق معلومات ومعارف جديدة تؤدي إلى وضع الحلول لمشاكل ما في مجال معين. (الشرقاوي، صفحة 22)

ورغم أننا لا نستطيع أن نعرف الذكاء الإنساني بشكل عام فإنه يمكن أن نلقي الضوء على عدد من المعايير التي يمكن الحكم عليه من خلالها، ومن تلك المعايير القدرة على التعميم والتجريد التعرف على أوجه الشبه بين المواقف المختلفة، والتكيف مع المواقف المستجدة، واكتشاف الأخطاء وتصحيحها لتحسين الأداء في المستقبل. (بونيه، 1993، صفحة 13)

ثانيا: تعريف الاصطناعي:

هو لفظ يطلق على كل ما كان مصنوعا غير طبيعي، ويتدخل الإنسان في تغييره وإخراجه عن أصل خلقته الأولى التي خلقه الله عليها. (عمر، 2008، صفحة 1323)

ثالثا: تعريف الذكاء الاصطناعي: وأما تعريف الذكاء الاصطناعي كمركب فقد ورد فيه:

➤ قدرة آلة أو جهاز ما على أداء بعض الأنشطة التي تحتاج إلى ذكاء مثل الاستدلال الفعلي والإصلاح الذاتي. (عمر، 2008، صفحة 818)

➤ عرف بأنه تصميم برامج حاسوبية تحاكي أسلوب الذكاء الإنساني (فهم، تفكير، واتخاذ قرارات) ليتمكن الحاسب من أداء بعض المهام بدلا من الإنسان. (بدوي، 2022، صفحة 96)

فالغاية إذا من وضع الذكاء الاصطناعي هو جعل الحاسوب وغيره من الآلات تكتسب صفة الذكاء ويكون لها القدرة على التفكير والتعلم والإبداع والتخاطب مثل الإنسان، وهذا الأمر يتوقف على محاولة فهم حقيقة الذكاء البشري وإدراك أهم المعايير التي يقوم عليها ومعرفة طرق تعامل الإنسان مع ما يتلقاه

من معارف ومواقف ومشكلات وكيفية نقلها للحاسوب حتى يتمكن من محاكاة السلوك الإنساني بكفاءة عالية. (عادل، 2005، صفحة 7)

وما نستنتجه مما ذكر سابقا بأن الذكاء الاصطناعي يحوم حول معنى استخدام التقنية التي تحاكي تصرُّفات الإنسان مثل القدرة على التفكير والكلام والإحساس وذلك بفهم المطلوب منه، وجمع البيانات والمعلومات حوله، واستخلاص النتائج وتطبيقها.

2.2 خصائص الذكاء الاصطناعي:

تتميز أنظمة الذكاء الاصطناعي بعدة خصائص من أبرزها:

التمثيل الرمزي (SYMBOLIC REPRESENTATION): (بونيه، 1993، ص ص 15-16) إن السمة الأولى لبرامج الذكاء الصناعي هي أنها تستخدم أساسا رموزا غير رقمية وهي في هذا تشكل نقضا صارخا للفكرة السائدة أن الحاسب لا يستطيع أن يتناول سوى الأرقام، ولا تتخذ إلا أحد وضعين اتفق على أن يرمز لهما ب (0.1)، وأنه لا يستطيع تمييز ظلال المعنى بينهما، ولكن إذا نظرنا على نفس المستوى للإنسان وعلى مستوى الخلايا العصبية، لوجدنا أن الفهم الإنساني يعتمد أيضا على الوضع الثنائي مما يشير إلى إمكانية التعبير عن الأفكار والتصورات والمفاهيم البالغة التعقيد واتخاذ القرارات بتشكيلات متطورة من هذه الأوضاع أو الحالات الثنائية.

ولا يوجد ما يمنع برامج الذكاء الصناعي من أداء بعض العمليات الحسابية إذا لزم الأمر، ولكن غالبا ما تستخدم نتائج هذه العمليات على المستوى الإدراكي، بمعنى أن مغزى هذه العمليات الحسابية سيدخل إلى العملية الاستدلالية التي يقوم بها البرنامج.

الاجتهاد (HEURISTICS): (بونيه، 1993، ص ص 16-17) تتحد السمة الثنائية لبرامج الذكاء الاصطناعي بنوعية في المسائل التي تتناولها، فهي في العادة ليس لها حل خوارزمي معروف، ونعني بذلك عدم وجود سلسلة من الخطوات المحددة التي يؤدي اتباعها إلى ضمان الوصول إلى حل للمسألة، وطالما لا يوجد حل خوارزمي للمسائل التي يعالجها الذكاء الاصطناعي فلا بد إذن من اللجوء إلى الاجتهاد، أي إلى الطرق غير المنهجية والتي لا ضمان لنجاحها، ويتمثل الاجتهاد في اختيار إحدى طرق الحل التي تبدو ملائمة مع إبقاء الفرصة في نفس الوقت للتغيير إلى طريقة أخرى في حالة عدم توصل الطريقة الأولى إلى الحل المنشود في وقت مناسب.

البيانات غير الكاملة: (بونيه، 1993، صفحة 19) تتمثل هذه السمة لبرنامج الذكاء الاصطناعي في قدرته على التوصل لحل المسائل حتى في حالة عدم توفر جميع البيانات اللازمة وقت الحاجة لاتخاذ القرار، ويحدث ذلك كثيرا في الطب حين لا تكون نتائج التحاليل جاهزة وحالة المريض لا تسمح بالانتظار ولا يستطيع الطبيب في هذه الحالة انتظار نتائج التحاليل التي سيستفيد منها بالتأكد ويضطر إلى اتخاذ قرار سريع. ويتربط على نقص البيانات احتمال الوصول إلى نتائج غير مؤكدة أو خاطئة في بعض الأحيان، وقد يكون غياب بعض البيانات نتيجة لطبيعة المسألة نفسها.

القدرة على التعلم: (بونيه، 1993، ص ص 20-21) وتعتبر القدرة على التعلم من الأخطاء أحد أهم معايير الذكاء إذ أنها تؤدي إلى تحسين الأداء نتيجة الاستفادة من الأخطاء السابقة، وترتبط هذه الملكة بالقدرة على التعلم باستطاعة استشراف التماثل في الأشياء والقضايا والتوصل من الجزئيات إلى العموميات واستبعاد المعلومات غير الصحيحة.

3. أهمية الذكاء الاصطناعي وأنواعه:

1.3 أهمية الذكاء الاصطناعي:

يقود الحديث عن الذكاء الاصطناعي لأهميته والتي تظهر من خلال كفاءته والقدرة على الإنتاج، فالذكاء الاصطناعي له أهمية قصوى خاصة في ظل الثورة المعلوماتية والتكنولوجية العالمية حيث: (الهادي، 2019، صفحة 241)

- مكن الذكاء الاصطناعي من التعامل مع الآلات وجعلها في متناول جميع شرائح المجتمع ولم تعد حكرا على المختصين فقط.
- يساهم في تطوير الخبرات البشرية بنقلها إلى الآلات الذكية إضافة إلى دوره في مجال الطب والقانون والمهن والأمن وغيرها.
- تعمل أنظمة الذكاء الاصطناعي على تخفيف المخاطر والضغوطات التي يتعرض لها الإنسان من خلال توظيف الآلة للقيام بالأعمال الخطرة والشاقة، والمشاركة في الكوارث والإنقاذ.
- يساهم الذكاء الاصطناعي بأنظمته وتطبيقاته في بناء المجتمعات والمدن الذكية، ورفاهية الإنسان واستغلال موارد الدول بكفاءة وفاعلية، وزيادة إنتاجية الموارد البشرية وتأهيلها.

- يساهم في التعليم وتطوير البحث العلمي وزيادة الخبرة والتعامل مع المواقف المعقدة وحل المشكلات من خلال قدرته على تحديد الأهمية وإبداء الأسباب والتفكير، ورد الفعل الصحيح والسريع عند كل مواقف مستحدثة ونوازل جديدة.

2.3 أنواع الذكاء الاصطناعي:

المتابع للذكاء الاصطناعي في بدايته يلحظ أنه يهدف إلى تقليد الذكاء البشري، وفهم قدرته على الإدراك ومعالجة المعلومات واتخاذ القرارات ومحاولة محاكاة ذلك من خلال أنظمة الحاسوب وبرامجه؛ لكن الأمر لم يتوقف على هذا، بل تطور بعد ذلك ليتجاوز طموح العلماء فكرة المحاكاة، وفكروا في إنتاج وبرمجة ذكاء اصطناعي يضاهي ذكاء البشر في كل المجالات ويتفوق عليه، ومن أجل ذلك قسم العلماء الذكاء الاصطناعي بحسب قوته، وخطورته لثلاثة أنواع: (البرعي، صفحة 25)

النوع الأول: الذكاء الاصطناعي المحدود أو الضعيف: وهو أبسط أشكال الذكاء الاصطناعي، وهو المنتشر اليوم والموجود حالياً على نطاق أوسع، ويهدف هذا النوع من الذكاء إلى تصميم آلات وبرمجيات ذكية تحاكي العقل البشري في أداء مهمة واحدة من مهامه، وفق برمجيات مسبقة لا يمكن لها أن تحيد عنها بأي حال من الأحوال. (مذكور، 2020، صفحة 146) ومن أمثلة هذه الآلات والبرمجيات الروبوتات الصناعية المبرمجة على العمل في المصانع لأداء مهام محددة ومعينة، وكذلك أجهزة الصراف الآلي التي تعمل وفق نظم ذكية محددة المهام.

النوع الثاني: الذكاء الاصطناعي العام أو المتقدم: الذكاء الاصطناعي العام أو المتقدم مصطلح يستخدم لوصف عملية تطوير الذكاء الاصطناعي إلى الدرجة التي تكون فيها الآلة مساوية فكرياً ووظيفياً للإنسان. (موسى، 2019، صفحة 28)

فإذا كانت أدوات الذكاء الاصطناعي المحدود تعمل تحت سيطرة الإنسان، فالأمر على النقيض تماماً في أدوات الذكاء الاصطناعي العام أو المتقدم، فإنها تعمل باستقلالية تامة عن سيطرة الإنسان، وتتخذ قراراتها بذاتها بناءً على تحليلاتها الذاتية للبيانات والخبرات التي تكتسبها، وهذا النوع من الذكاء أصبح واقعاً بالفعل، ومن أمثلته: الروبوتات الطبية المستخدمة في التشخيص الطبي، والروبوتات العسكرية، والأمنية، وروبوتات الدردشة وخدمات العملاء.

النوع الثالث: الذكاء الاصطناعي الفائق: يعد الذكاء الاصطناعي الفائق من أخطر الأنواع التي يطمح العلماء الوصول إليها في المستقبل، والتي لا تزال أبحاثهم فيه إلى الآن تحت التجربة، ولم يزل هذا النوع ضرباً من الخيال العلمي حتى اليوم ويهدف هذا النوع من الذكاء إلى تطبيق كل مجالات الذكاء الإنساني

بعمقها وتعقيدها على الآلات والماكينات وذلك لتصميم آلات تفوق مخ الإنسان وقدراته البيولوجية، وتتفوق عليه في الذكاء والدقة، والسرعة، والأداء. (مذكور، صفحة 148)

فقد يصل الذكاء الاصطناعي إلى ذكاء خارق ومن نماذجه نموذج نظرية العقل، حيث تستطيع هذه النماذج التعبير عن حالتها الداخلية وأن تتنبأ بمشاعر الآخرين ومواقفهم معها، ومنه ما يسمى بالذكاء الاجتماعي والعاطفي، فيستطيع الروبوت التعبير عن العواطف، كالتعرف على المزاج البشري على أساس تجويد الكلام من خلال محاكاة قدرات الإنسان، ومن الأمثلة المطبقة السيارات ذاتية القيادة، وروبوتات الدردشة الفورية. (موسى، صفحة 59)

4. تقنيات الذكاء الاصطناعي في ضوء المقاصد الشرعية ومظاهر المسؤولية الأخلاقية في استخدامها: 1.4 ضرورة النظر المقاصدي في الذكاء الاصطناعي:

من أهم معالم النظر في النوازل المعاصرة المشتبكة والمعقدة ملاحظة مقاصد الشريعة العامة، فإن بها يتبين للفقيه سعة الشريعة، ويسمى الفقه المراعي لمقاصد الشريعة ومقتضياتها بالفقه الحي، كأن النظر الشرعي بدونه ميت لا ينفع الناس، أو أنه مُميت للشريعة مبطل لصلاحياتها. (الريسوني، 2013، صفحة 74)

وإن ما ولّدت ثورة الذكاء الاصطناعي من نوازل ومشكلات، وما ستنتجه حسب توقعات الخبراء، هو أنسب مقام وأفقره لهذا النظر المقاصدي المتمكن، لأن كثيرا من نوازلها قد لا يجد الفقيه في ظواهر النصوص واجتهادات الفقهاء ما يُسعف في بيان حكمه، فيلجأ إلى قواعد الشريعة العامة الراعية لمقاصدها الكلية، ليصيب حكم الشرع أو يقترب منه ما أمكن (الخادمي، 1997، ص ص 58-59)، وهو نظر مهم ومطلوب إذا أحيط بضوابطه.

وأقل ما يجب من هذا النظر مراعاة حفظ الكليات الخمس المتفق عليها، في كلّ نظر جزئي يتعلق بتلك النوازل، بأن لا يؤدي الحكم المنزل على شيء منها إلى هدم كليّ من كليات الشريعة.

كما أن من أهم ضوابط هذا النظر المقاصدي المصلحي أن تراعى مراتب المصلحة، من حيث الاعتبار والإلغاء، وتراجع خصائص المصلحة الشرعية مقابل المصلحة الوضعية الملغاة، حتى لا يصادم مقطوع به من أحكام الشريعة جريا خلف سراب المصلحة الموهومة الملغاة.

2.4 نظرة مقاصدية لتقنيات الذكاء الاصطناعي:

أولا: ملاحظة المقاصد الضرورية:

مقصد "حفظ الدين": جاءت الشريعة برعاية مقصد الدين رعاية بالغة، بتأكيد الأمر بالإيمان وترتيب النجاة في الآخرة عليه، والحصن على دعوة الخلق إليه، ثم بالنهي عما يضادّه من الكفر والشرك والنفاق والخرافة ويلحق بذلك حماية دين الأمة، من شيوع الخرافة بين أفرادها وكل ما يشكّكها في مقررات دينها أو يغيرها بالإلحاد باسم العلم التجريبي وفروعه. (ابن عاشور، 2004، صفحة 236)

وإذا نظرنا إلى بعض أهداف الذكاء الإصطناعي نجد ما يُسمّى بـ (تعزيز القدرات البيولوجية للإنسان) (البرعي، صفحة 129)، لا بمعنى ترقية صحته ودفع الأمراض عنه، بل بمعنى التغلب على قيود الطبيعة البشرية، بهدف تأخير الشيخوخة وتحقيق "الخلود البشري" المزعوم بفضل الذكاء الاصطناعي. (رسالة يونسكو، 2018، https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000265211_ara) وقد تبوّى هذه الفكرة أنصار حركة "ما بعد الإنسانية" (Transhumanism)، معتقدين أنّ بإمكان البشر أن يُبدعوا مثل الخالق - تعالى الله وتقدّس - أو أن يخلقوا أشكالاً جديدة من الحياة، كما يؤمن أصحاب هذه الحركة بأن فكرة المعاناة في البشري يمكن حلّها من خلال التقنيات المحسنة، إلى آخر هذه الأوهام والخرافات التي يراد نشرها تحت غطاء التقدّم العلمي ومنتجات الثروة التقنية الجديدة، وبعضها هو من المستحيلات العقلية (حسن، 1437، صفحة 124)، وهي أوهام ينسف اعتقادها ببدهيّات الدين ويعارض تصورها المعلوم من دين الأنبياء بالضرورة من تفرد الله عزّ وجلّ بالقُدرة على الخلق، وأنّ الموت مكتوب على كل مخلوق في هذه الدنيا لا يمكن لأحد إلغاؤه، ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [المملك: 2]، وليس غريباً أن تصدر هذه الأوهام والأمانى ممن لم يعرف خالقه عزّ وجلّ وأوصافه وحقوقه، ولم يقرّ بعجز الإنسان وحاجته إلى خالقه تعالى.

مقصد "حفظ المال": جاءت هذه الشريعة بأحكام تحفظ الأموال خاصة كانت أو عامة، ورفعت من مقام الضرورة إليها، حيث جعلها الله تعالى قياماً لمصالح الناس الدينية والدينية فقال سبحانه: ﴿أَمْوَالُكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا﴾ [النساء: 5]، وإذا تأملنا الجوانب المالية والإقتصادية في الذكاء الإصطناعي وجدناها الدافع الأكبر للتسابق المحموم في تطويره، وتعميم استعماله في مجالات الحياة كافة، كما أنها السبب الرئيس في تجاهل مطوّره للمخاوف المعلنة لأصوات التعقّل في وجوب مراقبته وتأطيره.

ومع أنّ في هذه التطبيقات الذكية كثيراً من المحاسن المنتظرة في الجانب المالي والإقتصادي لحياة الأفراد، من حيث التسهيلات التي ستقدمها من السرعة في إنجاز المعاملات والدقة في تحليل البيانات والتخلص من التعقيدات الإدارية والوسائط المكلفة، فإن فيها من الأخطار المعلنة على الجوانب المالية للأفراد والدول أموراً ذات بال، ما يجعل الحكم على أفراد تلك التطبيقات متوقفاً على الموازنة الدقيقة

بين مصالح كل تطبيق ومفاسده على أموال الأفراد أو الدول، ومن تلك الأخطار: (أبوزيد، 2022، صفحة55)

- رواج المخالفات الشرعية الملازمة لما يعرف بـ "العقود الذكية Smart Contract، فيما يتعلق بصور القبض وأهلية المتعاقدين والعيوب والمسؤولية المترتبة عليها.
- تسهيل أنواع من المعاملات المحرمة شرعا أو المضرة بالأفراد والدول، كالمقامرات، وإنتاج العملات المشفرة غير المنضبطة والمضاربة الحرة في أسعار المواد الأساسية.
- المضاربات السعرية الإلكترونية غير المتحكم فيها، وما تنتجه من رفع الأسعار على نحو ضار للأفراد.
- ابتكار أدوات مالية افتراضية لا أصول لها حقيقية، ومنصات لتداولها لا حدود في الوصول إليها، مما يستنزف الثروات الحقيقية للأفراد المسارعين لطرق الربح السريع.
- نشر البطالة بصورة غير مسبقة بالاستغناء عن اليد العاملة في المجالات التي يدخلها الذكاء الاصطناعي.

فكل هذا يستدعي وجود تنظيمات وتشريعات تحدد التطبيقات النافعة من الضارة من منتجات الذكاء الاصطناعي، بموازنة المصالح والمفاسد المتصلة بها، وتراقب وتقيد ما ظهر نفعه لمال الأمة وأفرادها. ثانيا: النظر في مآلات الذكاء الاصطناعي: ويقصد بهذا المقصد التثبت من أن إلحاق الحكم الشرعي بالواقعة النازلة لا يفضي إلى عواقب وتداعيات مستقبلية تناقض مقاصد الشارع. (شبير، 2014، صفحة105) وقد عبر عنه الإمام الشاطبي بقوله: "النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة". (الشاطبي، 1997، صفحة177)

ولا يختلف اثنان على أن تقنيات الذكاء الاصطناعي عموما فيه مصلحة كبيرة وتحصيل منافع كثيرة على المستوى الاجتماعي والإقتصادي وحتى على المستوى الدعوي بالنسبة للمجتمعات الإسلامية، فهناك إلى جانب الحاجة الفردية لكل مسلم الحاجة العامة لجماعة المسلمين، وهي تتمثل في تحسين أحوالهم الاجتماعية وتوفير رفاهية العيش للمسلم، والحاجة لاستخدامها في أعمال شاقة أو خطيرة أو دقيقة، أو أعمال صناعية دقيقة، وتقديم الرعاية الطبية والاجتماعية، والاستفادة منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى وغيرها.

ثالثا: الموازنة بين المصالح والمفاسد: وتعرف بفقهاء الموازنة، أو مراعاة المصالح والمفاسد، وهو باب من الفقه دقيق وأساس متين، قامت عليه الشريعة، ويعبر عنها عند المعاصرين "بفقه الموازنات"، ويقصد

به مجموعة الأسس والمعايير التي تضبط عملية الموازنة بين المصالح المتعارضة، أو المفساد المتعارضة، أو المفساد المتعارضة مع المصالح، ليتبين بذلك أي المصلحتين أرجح فتقدم على غيرها، وأي المفسدتين أعظم خطراً فيقدم درؤها، كما يعرف به الغلبة لأي من المصلحة أو المفسدة عند تعارضهما ليحكم بناء على تلك الغلبة بصلاح ذلك الأمر أو فساده. (السوسوة، 2004، صفحة 13)

يقول ابن تيمية: "إن الشريعة جاءت لتحصيل المصلحة وتكميلها وتعطيل المفساد وتقليلها، وأنها تُرجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما". (ابن تيمية، 1995، صفحة 48)

ومن خلال ما تقدم فإن الموازنة تكون في ثلاثة أمور وهي: (القرضاوي، 2000، صفحة 29)

أولاً: الموازنة بين المصالح بعضها ببعض.

ثانياً: الموازنة بين المفساد بعضها ببعض.

ثالثاً: الموازنة بين المصالح والمفساد إذا تعارضتا.

ومنذ استحداث آليات الذكاء الاصطناعي بمختلف مستوياتها وأجيالها واستخداماتها، وهي تتفاعل مع الواقع الإنساني وتؤثر فيه وتتأثر به إيجاباً وسلباً، وفيما يلي سنحاول رصد بعض تلك الآثار بنوعها لترشيد استخدامها.

أ- الآثار الإيجابية لتطبيقات الذكاء الاصطناعي: من الآثار الإيجابية للذكاء الاصطناعي: (أبوزيد، صفحة 34) (دحمان، 2024، <https://almojaded.com/2022/08/09/1234567>)

✓ قطع شوط بعيد في خدمة البشرية، من حيث تيسير الحياة وتحقيق الرفاه والسعادة.

✓ تسهيل وتسريع أداء كثير من الأعمال واستمراريتها، وتعويض الإنسان في أعمال شاقة لا يقوى عليها الجسم البشري، مع اختزال كبير لعامل الزمن وتوفير الوقت وحسن استثماره، وتوفير الجهد البشري.

✓ التدقيق والضبط وتقليل نسب الإرتياب والخطأ.

✓ تمكين العقل البشري من التحكم في أكبر قدر ممكن من المعرفة المتاحة ومعالجتها وتوظيفها، وذلك من شأنه أن يفتح آفاقاً واسعة للعقل لحل الكثير من المشكلات التي تواجهه باستمرار.

✓ أثر الذكاء الاصطناعي إيجابيا في المجالات الأكاديمية من خلال تخزين الأبحاث العلمية واستدعاء كل ما يتصل بموضوع معين في لمح البصر، وكشف السرقات العلمية، والترجمة بين اللغات وإعداد الأبحاث وكتابتها.

ب- الآثار السلبية لتطبيقات الذكاء الاصطناعي: ويمكننا رصد بعض الآثار السلبية فيما يلي:

■ الاستخدام المتزايد لآليات الذكاء الاصطناعي لتعطيل الوظائف الفطرية للعقل، وتراجع قدراته على التفكير والتحليل الإبداعي، بل وتأثر بالآلة والصناعة.

■ إن المعرفة الجاهزة التي تقدمها الآلة تفتقد طعم المعرفة التقليدية وبركتها، التي ضاعت مع زوال المشيخة والمشافهة والورق ومجالس العلم التي تعوضها بالتدريج الشاشات والأزرار والنوافذ الإلكترونية.

■ أصيب العقل البشري بالشلل والكسل والاسترخاء، وصار "تابعا" للآلة التي صنعها، وأصابته الرتابة والقوالب الجاهزة.

■ ساد الاعتماد المفرط على الآلة في إخراج وإنتاج البحوث العلمية، مما يضيق على روح الإنتاج والإبداع، ويهدد حقوق التأليف والنشر، مما كرس سوء استخدام المعلومات وتجاوز أخلاقيات البحث والمعرفة.

■ إلغاء الخصوصية وتهديد الأمن الذاتي للإنسان، ولذلك تطرح العديد من الدراسات والهيئات موضوع الأمن السيبراني والمعلوماتي والقرصنة، لما فيه من الضرر وإلحاق الأذى بالغير.

فالنظر للذكاء الاصطناعي مبني في الشريعة الإسلامية على الموازنة بين منفعه ومصلحه فمتى ما كانت مصلحته بائنة وراجحة تم قبوله وإذا لاحت مفسدته فيمنع استغلال مثل هذه التقنيات عملا بالقاعدة المقاصدية درء المفساد مقدم على جلب المصالح.

رابعا: فقه المقاصد والوسائل: من أهم قواعد المقاصد المتعلقة بهذا الموضوع قاعدة المقاصد والوسائل، ف"المقاصد هي المتضمنة للمصالح والمفاسد في أنفسها، والوسائل هي الطرق المفضية إليها، والوسيلة على أفضل المقاصد هي أفضل الوسائل، والوسيلة إلى أرذل المقاصد هي أرذل الوسائل". (ابن عاشور، صفحة، 109)

وعليه فإن تطبيقات الذكاء الاصطناعي أدوات يمكن أن تستخدم في الخير النافع أو في الشر وأذية البشر، ومن المعلوم شرعا أن الأداة بغياب النص الشرعي لا تأخذ حكما شرعيا، بل العبرة بما تستخدم

له. (أبوزيد، صفحة38) فلا يجب أن نغفل أن الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته تبقى مجرد وسائل لا غاية، والحكم المقاصدي عليها راجع لكيفية استخدامها لما يجلب الصلاح ويوافق مقصود الشارع، خاصة فيما نراه في عصرنا من انشغال بالوسائل وتضخيم لها على حساب الغايات والأهداف، بل إن الوسيلة تحولت إلى غاية في حد ذاتها.

ولا يخفى أن في كل ما تقدم مصالح تقع في صلب مقاصد الشريعة العليا المتعلقة بحفظ النفس والمال، فإذا ما تمت الإفادة من هذه التطبيقات في المجالات الشرعية والفتاوى الفقهية جمعت مع ذلك حفظ الدين، ومن هنا فإنه يقع على عاتق كل من له سلطة، أو صلاحية في إمكانية الإفادة من مثل هذه التقنيات ألا يحرم المسلمين منها، بتوفير بيئة آمنة موثوقة يمكن الدخول فيها، واستخدامها دون أي ضرر عليهم في دينهم أو دنياهم.

3.4 مظاهر المسؤولية الأخلاقية في استخدام الذكاء الاصطناعي:

تبرز المسؤولية الأخلاقية لاستخدام الذكاء الاصطناعي من خلال ما يلي:

1- الإطار الأخلاقي للذكاء الاصطناعي: شهدت السنوات الأخيرة ثورة تكنولوجية هائلة أدت إلى وصول العقل البشري إلى ابتكار ذكاء يحاكي ذكاءه، إذ إن التطور الكبير في ميدان الذكاء الاصطناعي المتمثل في ظهور أنظمة مبرمجة، مثل: مساعدة الطبيب في المجال الطبي، والسيارات الذكية والوكيل الذكي، والروبوتات وغيرها من التطبيقات التي أصبح لها دور فاعل في المجتمعات المتطورة، لم يمنع من وجود العديد من التساؤلات الأخلاقية السلبية المترتبة على تصاعد الاعتماد عليها، والتي يمكن أن تؤدي إلى تداعيات اجتماعية واقتصادية وأمنية وقانونية وهو الأمر الذي حول أنظار العالم إلى ضرورة وضع إطار أخلاقي يحدد التعامل مع الذكاء الاصطناعي في مجتمع المعلوماتية، وهذا ما يدفع إلى القول بأن عدالة مجتمع المعلومات لا يتحقق بواسطة القانون وحده ولكن من خلال الفضائل والقيم والأخلاق. (سباع، 2018، ص ص 41-43)

فبينما يسير البحث العلمي بسرعة فائقة فيما يتعلق بالجوانب التقنية للذكاء الاصطناعي نجده صغيراً عندما يتعلق الأمر بالبعد الأخلاقي، حيث إن بعض الدول شرعت في التفكير الجدي حول هذه المسألة، لكنه حتى اليوم لا يوجد أي إطار قانوني أو مدونات أخلاقية تضبط التوجهات المستقبلية لتطور تقنيات الذكاء الاصطناعي. (سباع، 2018، ص ص 41-43)

2- البعد الأخلاقي للذكاء الاصطناعي: في حين أن الذكاء الاصطناعي يمثل أصلاً مذهلاً للتنمية المسؤولة في مجتمعاتنا، إلا أنه يثير قلقاً متزايداً حول انتهاك هذه التقنيات لحقوق الإنسان وخصوصياته، كذلك توجد العديد من تطبيقات الذكاء الاصطناعي لديها القدرة على خلق الصوت لتعديل الكلام، وهذا يعني أنه يمكن التلاعب بمقاطع الصوت لأي شخص حتى صارت مقاطع الصوت عبارة عن عجينة تصنع منه ما تشاء وبالنبرة التي تريدها بالإضافة إلى تطبيقات متقدمة تجعلك قادراً على تزيف البصمة الصوتية لأي شخص كان. (درار، 2019، ص ص 237-271) وفي هذا الإطار اهتمت بعض الشركات المنتجة للذكاء الاصطناعي بالجانب الأخلاقي لمنتجاتهم، وحرصت على وضع ضوابط أخلاقية لتعامل الإنسان مع الآلة وتعامل الآلة مع الإنسان، وحددتها في أربعة بنود: (اميت، 2018، ص ص 191-208)

- 1- سياسات تتعلق بالسلامة والأمن كتوافر زر الأمان أو مفاتيح لتشغيل وإيقاف الروبوت بحيث يكون المشغلون قادرين على الحد من استقلالية الروبوتات عند ضمان السلوك السليم للروبوت.
- 2- سياسات تتعلق بالسرية والخصوصية كوضع أنظمة التشفير وكلمة المرور للبيانات الحساسة اللازمة للروبوت لأداء مهامها أو تسجيل البيانات المكتسبة خلال نشاطها، والمحافظة على حق الإنسان في الخصوصية، وعدم السماح لتقنيات الذكاء الاصطناعي بالمراقبة والتصنت والتسجيل غير القانوني وغير الأخلاقي.
- 3- تحديد الهوية: حيث يجب توفير أرقام هوية وأرقام تسلسلية لتقنيات الذكاء الاصطناعي كما هو موجود في السيارات والمركبات الأخرى.
- 4- سياسات تتعلق بالقيم بأن يتوافق النظام الذكي مع القيم والمبادئ الأخلاقية لحقوق الإنسان، وأيضاً ألا ينتمي الروبوت إلى عرق أو يسبب أي عنصرية أو اختلافات أو تحيز.

4. خاتمة

وفي ختام هذه الدراسة نتوصل لعدة نتائج نجملها في الآتي:

- جوهر عملية الذكاء الاصطناعي هو استخدام التقنيات التي تحاكي تصرفات الإنسان كالقدرة على التفكير والإحساس.
- الذكاء الاصطناعي وتقنياته يمكن استخدامه في الخير النافع أو في الشر، لذا لا بد من النظر لهذا الموضوع من جميع جوانبه من خلال توظيف المقاصد الشرعية فيه.

- إن أهم معالم النظر في النوازل المعاصرة المتعلقة بالذكاء الاصطناعي ملاحظة البعد المقاصدي الذي يسمح بالتصور الصحيح لها.
- إن أخطر ما في آفاق تطوير تقنيات الذكاء الاصطناعي ما يمس الكليات الشرعية من الدين والنفس والعقل والمال وما يتعلق بها من خلفيات إلحادية كونها من صنع الغرب.
- رغم التطور المذهل الذي تشهده تقنيات الذكاء الاصطناعي كل يوم إلا أنها لا تزال مفتقرة للمسؤولية الأخلاقية التي تضبط تقنياتها وفق القيم والمبادئ خاصة مع انتشار تقنيات يمكن استغلالها في انتهاك خصوصيات بعض الناس.

توصيات:

- ضرورة المتابعة العلمية الشرعية سواء في مراكز البحث أو الهيئات الشرعية كالمجمعات الفقهية لجديد هذه التقنيات لتكييفها شرعياً ومنع مفسادها الواقعة والمتوقعة.
- ضرورة توجيه الأبحاث ومذكرات التخرج لتناول هذا الموضوع وما يتعلق به شرعياً وقانونياً واجتماعياً لتأصيل وتقنين التعامل مع الذكاء الاصطناعي.
- ضرورة السعي للمزاوجة بين العلوم الإنسانية والعلوم التطبيقية في مجال الذكاء الاصطناعي من أجل الوصول لنتائج دقيقة.

5. قائمة المراجع:

- ابن تيمية تقي الدين، (1995)، *مجموع الفتاوى*، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد
- ابن عاشور محمد الطاهر، (2004)، *مقاصد الشريعة الإسلامية*، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- ابن فارس أحمد، (1979)، *معجم مقاييس اللغة*، (د-ط)، دار الفكر
- ابن منظور محمد جمال الدين، (1414)، *لسان العرب*، (ط3)، بيروت، دار صادر
- أبو زيد عبدالعظيم جلال، (2022)، *التطبيقات المالية للذكاء الاصطناعي مسائل شرعية وأبعاد مقاصدية*، مجلة *إسرا الدولية للمالية الإسلامية*، المجلد 13، (العدد 2)، (31-66)
- بدوي محمد محمد عبد الهادي، (2022)، *تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التعليم التحديات والآفاق المستقبلية*، مجلة *الجمعية المصرية للكمبيوتر التعليمي*، المجلد 2، (العدد 2)، (91-108)، https://eaec.journals.ekb.eg/article_254019.html

- البرعي أحمد سعيد علي، (2022)، تطبيقات الذكاء الاصطناعي والروبوت من منظور الفقه الإسلامي، مجلة دار الإفتاء المصرية، المجلد 14، (العدد 48)، (12-159)، https://dftaa.journals.ekb.eg/article_231631.html
- بونية آلان، ترجمة: عل صبري فرغلي، (1993)، الذكاء الاصطناعي واقع ومستقبله، دار عالم المعرفة
- تياجي أميت، سلى عفاف، (2018)، الذكاء الاصطناعي نعمة أم نقمة، مجلة دراسات المعلومات، (العدد 21)، (191 - 208)
- حسن أحمد، (1437)، الميديا والإلحاد، (ط2)، السعودية، مركز دلائل
- الخادمي نور الدين بن مختار، (1997)، الاجتهاد المقاصدي، (ط1)، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
- دحمان عبد الحق، (2022)، تطبيقات الذكاء الاصطناعي في التحيز ضد الإسلام: رؤية في أبرز المخاطر وإجراءات المواجهة، على موقع مركز المجدد للبحوث والدراسات: <https://almojaded.com/2022/08/09/1234567>
- درار خديجة محمد، (2019)، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي والروبوت، المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، المجلد 6، (العدد 3)، (238-270)، https://ijlis.journals.ekb.eg/article_74298.html?lang=ar
- درار خديجة محمد، (2019)، أخلاقيات الذكاء الاصطناعي والروبوت دراسة تحليلية، المجلة الدولية لعلوم المكتبات والمعلومات، المجلد 6، (العدد 3)، (238-272)، https://ijlis.journals.ekb.eg/article_74298.html?lang=ar
- الريسوني أحمد، (2013)، أبحاث في الميدان، (ط1)، القاهرة، دار الكلمة
- سباع أحمد الصالح، محمد يوسف، عمر ملوكي، (2018)، تطبيق استراتيجيات الذكاء الاصطناعي على المستوى الدولي
- الإمارات العربية المتحدة نموذجاً، مجلة الميادين الإقتصادية، المجلد 1، (العدد 1)، (31-43)، <https://asjp.cerist.dz/en/article/125343>
- السوسوة عبد المجيد محمد، (2004)، فقه الموازنات في الشريعة الإسلامية، (ط1)، دبي، دار القلم
- الشاطبي إبراهيم، (1997)، الموافقات، (ط1)، دار ابن عفان
- شبير محمد عثمان، (2014)، التكيف الفقهي للوقائع المستجدة وتطبيقاته الفقهية، (ط2)، دمشق، دار القلم
- الشرقاوي محمد علي، (1996)، الذكاء الاصطناعي والشبكات العصبية، مطابع المكتب المصري الحديث
- عادل عبد النور، (2005)، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، السعودية، مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية
- عبدالله موسى، أحمد حبيب بلال، (2019)، الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر، المجموعة العربية للتدريب والنشر
- عمر أحمد مختار عبد الحميد، (2008)، معجم اللغة العربية المعاصرة، (ط1)، دار عالم الكتب
- القرضاوي يوسف، (2000)، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، القاهرة، مكتبة وهبة
- المجددي محمد عميم، (2003)، التعريفات الفقهية، (ط1)، دار الكتب العلمية
- مذكور مليكة، (2020)، مستقبل الإنسانية في ضوء مشاريع الذكاء الاصطناعي الفائق، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 3، (العدد 1)، (138-163)
- منظمة الأمم المتحدة للتربية العلم والثقافة، (2018)، الذكاء الاصطناعي وعود وتهديدات ضمن رسالة اليونسكو، على موقع: https://unesdoc.unesco.org/ark:/48223/pf0000265211_ara
- الهادي محمد، (د-ت)، الذكاء الاصطناعي معالمه وتطبيقاته وتأثيراته التنموية والمجتمعية، (ط1)، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية للنشر